سلسلة مكتبة أبي حمود العلمية

الأسماء والصفات

بين أهل السنة وأهل الضلال

لفقير عفو ربه القدير

أبي حمود هادي بن قادري بن حسين محجب

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وذريته والمسلمين

فرّغها وراجعها

القسم العلمي بمكتبة أبي حمود العلمية



ناشر الكتروني



الأسماء والصفات

بين أهل السنة وأهل الضلال



abuhamood_55@hotmail.com

http://abuhamoodscientificlibrary.blogspot.com

سلسلة مكتبة أبي حمود العلمية

الأسماء والصفات

بين أهل السنة وأهل الضلال

لفقير عفو ربه القدير

أبي حمود هادي بن قادري بن حسين محجب

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولذريته والمسلمين

فرغها وراجعها

القسم العلمي بمكتبة أبي حمود العلمية

ناشر إلكتروني




بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله ؛ نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضلِل فلا هادِيَ له ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّمَ تسليماً كثيراً .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[3]، أمَّا بعد :

فإنَّ أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ ، وشرَّ الأمور مُحدثاتها ، وكلَّ محدثةٍ بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالة ، وكلَّ ضلالة في النَّار .

ها نحن مع اللقاء الرابع من هذه السلسلة المتوالية ؛ وحديثنا الليلة عن الأسماء والصفات ، وسنتطرق لهذا الموضوع باختصار واقتضاب يستدعيه حالُ المتلقين من الطلاب وفقهم الله ، وهو أمرٌ لابد لكل طالب علمٍ أن يتعلمه وأن يعرف الحق فيه ويتبعه ، ويعرف الباطل فيه فيجتنبه .

---

(١) [آل عمران:١٠٢].

(٢) [النساء:١].

(٣) [الأحزاب:٧٠-٧١].

فأسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد إلى الحق والصواب، وأن يجنبنا طرق الغواية والضلالة، فأقول مستعيناً بالله متوكلاً عليه:

إنَّ من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بأنَّ لله أسماءً حسنى وصفات عليا، وصفَ الله تبارك وتعالى بها نفسه وعرفنا بها عليه تبارك وتعالى، ووصفه بها رسوله ﷺ؛ الذي لا ينطق عن الهوى.

وإنَّ من عقيدة أهل السنة والجماعة اعتقاد الكمال المطلق في أسماء الله وصفاته وأنَّها بلغت الحسن والعُلو على ما يليق بجلال ربنا تبارك وتعالى؛ من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريفٍ ولا تعطيل.

فقد قال تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾[1].

وهذه الآية ونظائرها في كتاب الله تبارك وتعالى تبيِّنُ لنا بكل وضوحٍ الغاية من معرفة أسماء الله وصفاته، وهو دعاء الله تبارك وتعالى بكل اسم هو له سمى به نفسه أو سمَّاه به رسوله ﷺ.

أمَّا أهل الإلحاد في أسماءه وصفاته فإنَّهم مللٌ ونحلٌ كثيرة. ما بين نفاةٍ ومشبهة، ومحرفة، ومعطلة.

ومنطلقهم أمرٌ واحدٌ ؛ ألاَ وهو التشبيه. فكل الفرق التي ضلت عن الحق في باب الأسماء والصفات كان منطلقهم من التشبيه. فكل هذه الفرق دخلَ عليها الانحراف من التشبيه.

---

(١) [الأعراف: ١٨٠].

وعليك يا طالب العلم أنَّ تعلمَ أمراً مهماً في أسماء الله وصفاته، ألَا وهو أنَّ أسماء الله وصفاته توقيفية، بمعنى أنَّها متوقفةٌ على الدليل والنص، فما ثبت لله من اسمٍ أو صفة بدليل من القرآن أو صحَّ في الحديث عن رسول الله ﷺ؛ أثبتناه لله تبارك وتعالى مع اعتقاد المعنى الذي دلَّ عليه. وما لم يثبت لله تبارك وتعالى من اسم أو صفة بدليل فليس من أسماء الله ولا صفاته. مثلُ اسم (الحنَّان)؛ فهذا لم يثبت لله تبارك وتعالى بدليل؛ فلا يُسمى الله بهذا الاسم أبداً. وكذلك اسم (ساتر) لم يثبت أنَّه اسمٌ لله تبارك وتعالى.

كذلك على العبد المؤمن بأسماء الله وصفاته، السكوت عن الكيفية. فلا يقل المسلم في صفة الاستواء مثلاً: كيف استوى؟، لأنَّ السؤال عن كيفية صفة الله تبارك وتعالى بدعة وإلحاد في أسماء الله وصفاته، بل للمسلم أن يسأل عن المعنى الذي دلَّ عليه الاسم أو الصفة واعتقاده والعمل بوفقه. وأمَّا الكيفية فلا يسأل عنها أبداً، ومن سأل عن كيفية الصفات فهذا مبتدع.

كما جاء عن الإمام مالكٍ رحمه الله في قصته مع ذلك الرجل الذي دخل عليه المسجد، فقال له: «يا أبا عبد الله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾(١)، كيف استوى؟ فأطرق الإمام مالكٌ وعلاه الرحضاء - يعني العرق- وانتظر القومُ ما يجيء منه فيه، فرفع رأسه إلى السائل وقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأحسبك رجلَ سوءٍ، وأَمَرَ به فأُخرِج»(٢).

كذلك ؛ عليك يا طالب العلم أن تعلمَ أنَّ أسماء الله تبارك وتعالى لا تعدُّ ولا تُحصى ولا يعلم عدَّها إلا هو تبارك وتعالى ، كما جاء عن النبي ﷺ قوله في الذكر المأثور [اللهمَّ إنِّي

---

(١) [طه:٥].

(٢) فتاوى ابن تيمية (٤/٤).

أسألك بكل اسمٍ هو لك، سَمَّيتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك][1]؛ وهذا هو الشاهد من الذكر، وهو أنَّ هناك من الأسماء ما استأثر الله به في علم الغيب ولم يظهره لأحدٍ من أنبياءه أو رسله.

وإنَّما الذي علمناه منها هو تسعةٌ وتسعون اسماً، كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: [إنَّ للهِ تسعةً وتسعين اسماً، مِائةً إلَّا واحدةً، من أحصاها دخلَ الجنة][2].

والمعنى المراد بإحصائها؛ هو حفظها ومعرفة ما دلت عليه من معاني وآثار، واعتقاد ذلك والإيمان به، ودعاء الله تبارك وتعالى بها وفق ذلك. فهذا هو معنى إحصائها الذي جاء عن النبي ﷺ في الحديث.

ثُمَّ لتعلم أيها المسلم أن النَّاس في أمة محمد ﷺ قد انقسموا في هذا الباب العظيم - باب الأسماء والصفات- إلى طوائف وفرقٍ وأحزاب ومللٍ ونحلٍ شتَّى. كلهم على باطل وضلال، إلَّا أهل السنة والجماعة الذين سلكوا مسلك الصحابة والتابعين، واتبعوا سبيل النبي ﷺ هو ومن اتبعه من الصحابة رضي الله عنهم.

وقد قال سعيد بن جبير رحمه الله: «ما لم يعرفه البدريون فليس بدين». فهذا القول من

---

(١) أخرجه أحمد بسندٍ ضعيف (٦/٢٤٦)، برقم (٣٧١٢). وابن أبي شيبة (١٠/٢٥٣). وأبو يعلى (٩/١٩٨)، برقم (٥٢٩٧). وابن حبان برقم (٩٧٢).

(٢) أخرجه البخاري في الشروط باب ما يجوز من الاشتراط والثُّنْيا في الإقرار، والشروط التي يتعارفها الناس بينهم، وإذا قال: مائة إلا واحدة أو اثنتين. برقم (٢٧٣٦). ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بابٌ في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، برقم (٢٦٧٧).

سعيد بن جبير رحمه الله قاله عن علم بين التابعين أنَّ البدريين هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين شهدوا التنزيل كله منذ بداية البعثة وبداية الهجرة، ومنهم الخلفاء الراشدون الأربعة (أبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وعليٌّ) رضي الله عنهم. ومنهم كبار الصحابة وأجلاؤهم، الذين أخذوا العلم والفقه والدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون واسطة، ومن أهم أمور الدين التي أخذوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسائل الأسماء والصفات، وليس حديث الجارية في صحيح مسلم عنَّا ببعيد.

فعقيدة أهل السنة والجماعة كما بينت في بداية المجلس أنهم مقرون بأنَّ لله أسماء حسنى وصفاتٍ عليا على الوجه اللائق بجلال الله تبارك وتعالى من غير تكييفٍ ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، ويؤمنون بما دلَّت عليها من معاني، ولا يفوضون في المعنى أبداً، بل تفويض أهل السنة والجماعة واقعٌ للكيفية فقط.

وثبت عن محمد بن الحسن الشيباني - صاحب أبي حنيفة- رحمه الله؛ أنَّه قال: «اتفقَ الفقهاء كلهم من الشرق والغرب؛ على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عزل وجل من غير تفسير، ولا وصفٍ ولا تشبيه، فمن فَسَّرَ شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وفارقَ الجماعة. فإنَّهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا. فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة»[1]اهـ.

ثُمَّ جاء بعد التابعين؛ خلوفٌ من الأمة نفوا صفات الله تبارك وتعالى وعطلوا الله عن صفاته، وشبهوا وأولوا تأويلات باطلة، ما أرادها الله تبارك وتعالى ولا أرادها رسوله صلى الله عليه وسلم.

(١) انظر الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

واعلم أنَّ القاعدة في أسماء الله وصفاته عند أهل السنة والجماعة؛ هي قوله تبارك وتعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[1] ، فهم يثبتون المعنى على الوجه اللائق بجلال الله تبارك وتعالى، مع نفي تشبيه الله تبارك وتعالى بخلقه، والتفويض في الكيفية.

فصارت هذه الآية ومثيلاتها في الكتاب العزيز؛ قواعد لأهل السنة والجماعة، وعلى أثرها خرجت قواعد جليلة أصلت لبيان منهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات.

وأهم قاعدة اشتقت من هذه الآية ومثيلاتها؛ هي قاعدة (التفصيل في مقام الإثبات، والإجمال في مقام النفي)[2].

بخلاف أهل البدع؛ فإنَّك تجدهم يفصلون في النفي ويستغرقون في الكلام عند النفي على وفق قواعدهم الخلفية المبتدعة، وسيأتي معنا في هذه المدارسة بيان شيءٍ من قواعدهم الخلفية إن شاء الله.

وعند الرجوع إلى رسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله؛ نجده يقرر هذه القاعدة بوضوحٍ شديد، ويضرب لها الأمثلة، وأنَّها قاعدة فارقة بين طريقة الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ وبين طريقة أهل الزيغ والانحراف عن طريقتهم.

فقال : «والله سبحانه وتعالى بعث رُسُلَهُ بإثباتٍ مُفَصَّل ونفيٍ مُجمَل، فأثبتوا الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصح له من التشبيه والتمثيل»[3]ا.هـ

---

(١) [الشورى:١١].

(٢) انظر الرسالة التدمرية.

(٣) انظر الرسالة التدمرية.

ثمَّ بين هذه القاعدة في الرسالة ذاتها؛ بأصلين:

الأول: أنَّ القول في بعض الصفات كالقول في بعض.

الثاني: أنَّ القول في الصفات هو كالقول في الذات.

فصارت هذه القاعدة سمة دالَّةً على طريقة السلف في باب الأسماء والصفات. وأنَّ مخالفتها سمةٌ دالَّةٌ على طريقة أهل الزيغ والانحراف.

وبعد هذا التقعيد والتأصيل لمسلك أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، ندلف إلى الكلام على بعض الفرق والطوائف التي حادت عن المنهج الحق في هذا الباب.

فكان أول فرقة خرجت بعد القرون المفضلة ؛ فرقة تُسمَّى الجهمية، نسبةً إلى الجهم بن صفوان، تنفي صفات الله تبارك وتعالى وأسماءه، حيث كان أول ظهور بدعته في ترمذ، حين بدأ يجلس إلى الناس يعلمهم نفيَ صفات الله تبارك وتعالى وأنَّ الله ليس له صفات وليس له اسم. وهذا كفر محض وصريح.

وكذلك فرقة المعتزلة، وهؤلاء أثبتوا الأسماء وعطلوا عنها الصفات، فقالوا عليمٌ بلا علم، وقادرٌ بلا قدرة، وحيٌّ بلا حياة، وهلمَّ جرًّى من هذه الهرطقات التي لا تخرج إلَّا من أناسٍ لا فهم ولا إدراك لديهم بخطورة ما يقولون، تعالى الله عمَّا يقول الظالمون علواً كبيراً. وسموا بالمعتزلة نسبةً إلى واصل بن عطاءٍ الغزَّال، لـمَّا اعتزل حلقة الحسن البصري رحمه الله.

وكذلك فرقة الكرامية، وهي فرقة من فرق الضلال في باب الأسماء والصفات. ومنهجها قائم على التجسيم والتشبيه؛ يعني تشبيه صفات الخالق تبارك وتعالى بصفات خلقه عياذاً بالله. وهم ينتسبون إلى محمد بن كرَّام من أهل سجستان، فنُفِيَ منها إلى قرجستان وهناك نشر منهجه الفاسد وقد كان من أهل العبادة فاغترَّ العوام بعبادته فتبعوه على ضلالاته.

وكذلك فرقة الكلاَّبِيَّة، وهي من الفرق التي ضلت في باب الأسماء والصفات، من حيث طريقة الرَّد على الجهمية والمعتزلة. وهم ينتسبون إلى عبد الله بن سعيد بن كُلاَّب. الذي وإن كان فيه قُربٌ إلى أهل السنة إلَّا أنَّه رَدَّ على الجهمية والمعتزلة بأصولهم الكلامية، فَزَلَّت به القدمَ في هذا الباب وخالف فيها أهلَّ السنَّة والجماعة، وأنكر أن يكون القرآن كلام الله، إلى غير تلك الأمور.

كذلك من فرق الضلال في باب الأسماء والصفات؛ فرقتا الأشاعرة والماتوريدية، حيث أنَّهم لم يثبتوا من الصفات إلَّا سبعاً اقتضاها العقل عندهم، وأوَّلوا بقية الصفات تأويلاً باطلاً وصرفوها عن معانيها، بحجة أنَّهم ينزهون الله تعالى عن أن يشابه خلقه. وهذا عين الباطل والضلال التي أُتِيَت منه جميع الفرق التي ضلَّت في باب الباب الأسماء والصفات، وهو مدخل التشبيه عياذاً بالله.

والأشاعرة ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري رحمه الله، وهذا الرجل كان قد مرَّ بثلاث مراحل اعتقادية في حياته؛ قبل توبته ورجوعه إلى عقيدة أهل السنة والجماعة آخر أمره الذي مات عليه. فقد كان بادئ أمره معتزلياً على عقيدة الاعتزال في اثبات الأسماء وتجريدها عن الصفات. ثم تاب ورجع عن هذا المعتقد الخَرِبِ، واعتنق عقيدة الكلابية الآنفة الذكر.

ثمَّ تركها واشتقَّ لنفسه منهجاً في الاعتقاد في الأسماء والصفات، تبعه عليه خلقٌ لا يعلمُّ عدَّهم وعدَدَهم إلاَّ الله تبارك وتعالى، يتلخصُ هذا الاعتقاد في منهج عقلي بَحتٍ في التعامل مع الصفات، حيث أنَّه نظر في الصفات نظرة عقلية؛ فما وجد العقل يميل إلى إثباته دون تأويل أثبته وقال به. فخرج بسبع صفاتٍ قال أنَّ العقل يقتضي اتصاف الله بها دون تأويل، وهي (الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام). وحتى صفة الكلام لهم مسلكٌ رديء فيه.

ولهم في التعامل مع بقية الصفات مسلكان:

المسلك الأول: أنَّهم يرجعونها إلى معنى الصفات السبع. فمثلاً صفة المحبة؛ مثل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾(١)، فيفسرونها بالإرجاع إلى معنى صفة الإرادة ويقولون يريد أن يحبهم، والإرادة كما مضى معنا هي إحدى الصفات السبع التي أثبتوها وفق مقتضى العقل.

المسلك الثاني: أنَّهم يأولونها ببعض المخلوقات من النِّعَم والعقوبات التي هي أثرٌ من آثار الصفات؛ ولا يثبتون الصفة أبداً، وهذا غالب مسلكهم في الصفات الذاتية. فمثلاً صفة اليد؛ الأشاعرة بدل أن يثبتوا هذه الصفة على مراد الله تبارك وتعالى؛ ماذا فعلوا؟!.

يفسرونها بالنعمة، وأحياناً يردونها على المسلك الأول فيقولون هي بمعنى القدرة، فالقدرة عندهم هي إحدى الصفات السبع التي أثبتوها.

وكذلك صفة الغضب مثلاً؛ فسروها بالانتقام، وحقيقة أنَّ الانتقام أثرٌ من آثار الغضب وليس هو الغضب، وإلاَّ كيف سيتعاملون مع قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٥﴾(٢). وكذلك قالوا في صفة الرضا فسروها بالثواب؛ والثواب أثرٌ من آثار الرضا. وفسروا الرحمة بالإنعام، وهذا هو الباطل.

وهنا نورد عليهم إشكالين في هذا المنهج في عقيدة الأسماء والصفات لدى الأشاعرة:

أولاً: دعونا من الصفات السبع، ولنأتِ إلى بقية الصفات التي نفيتموها وفسرتُموها

---

(١) [المائدة: ٥٤].

(٢) [الزخرف: ٥٥].

تفسيرات باطلة ما أنزل الله بها من سلطان ولا وردَت عن رسوله ﷺ، ولا عن صحابته رضي الله عنهم، ولا عن القرون المفضلة. وخاصة صفتا (الاستواء، والعلو).

على أي عقيدة كان المسلمون قبل ظهور أبي الحسن الأشعري إلى الدنيا، وخاصة القرون المفضلة في الأسماء والصفات؟! مع الدليل من القرآن والسُّنة وأقوال الصحابة؟!. وأمَّا الأدلة العقلية فدعوها لكم لا نريدها لأننا مختلفون فيها كمستندٍ مرجعي بيننا وبينكم.

ولن نجد أشعرياً واحداً يجيبنا على هذا الإشكال، أو يستدلَّ على معتقده بدليل من قرآن أو سُنَّة أو قول لصحابي، أو قول تابعي.

ثانياً: الإشكال الثاني الذي نورده على الأشاعرة، أننا وهم أيضاً، نعلم أنَّ باب الأسماء والصفات واحدٌ، وأنَّ القول في بعض الصفات كالقول في بعض، فلماذا أثبتم سبعَ صفاتٍ ونفيتم بقية الصفات، في حين أنَّ مسلككم في الصفات لم يكن واحداً؟!.

فإنَّ الناظر لمنهج أهل السنَّة والجماعة يجدهم على مسلك واحدٍ في عقيدتهم في الأسماء والصفات.

فكيف فرقتُم هذا التفريق بين هذه الصفات السبع وبين بقية الصفات؟!.

واستمع إلى جوابهم الذي هو في الأصل شبهة انطلت عليهم وخَرَّبَت عقائدهم في الأسماء والصفات. ومن هنا صحَّ قولنا في بداية هذه المدارسة أنَّ كلَّ طوئف الضلال أتاهم الشيطان من باب التشبيه، فظنوا أنَّهم ينفون التشبيه عن الله فوقعوا في المحظور وهو نفي الصفات ظناً منهم أنَّهم ينزهون الله عن مشابهة المخلوق.

فقالوا: إنَّ إثبات الصفات السبع اقتضاه العقل، وأمَّا إثبات غيرها من الصفات يلزم منه التشبيه والتمثيل، لأنَّنا لا نرى متصفاً بغير الصفات السبع إلَّا كان جسماً، قالوا والأجسام تتشابه، فلذلك نفينا هذه الصفات عن الله؛ تنزيهاً لله عن مشابهة المخلوق.

وهذه شبهة خطيرة، والرَّدُّ عليها أمرٌ يسيرٌ بإذن الله، ولكنَّ البليد مهما جئته بالحقِّ فلن يقتنع إلا من كتب له الله فهم الحق واتباعه.

والجواب عليها كالتالي:

إن كنتم أيُّها الأشاعرة نفيتم بقية الصفات هروباً من التشبيه والتمثيل، وأنكم لا ترون ما هو متصفٌ بهذه الصفات إلَّا ما كان جسماً، فليزمكم من هذا القول الفاسد أن تنفوا الصفات السبع أيضاً لأنَّكم لا ترون متصفاً بها إلَّا ما كان جسماً.

فالمخلوق كذلك يتصف بالحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام. فيكيف تثبتون هذه الصفات السبع وهي أيضاً في المخلوق؟!.

قالوا نحن أثبتناها على وجهٍ لا يماثُل فيه الخالق المخلوق ولا يشابهه؛ فلا يلزم من إثباتها المشابهة والمماثلة.

نقول لهم ؛ إذن ؛ فلمَ لم تثبتوا بقية الصفات التي نفيتموها ؛ على وجهٍ لا يلزم منه المشابهة والمماثلة.

فهلاَّ سلكتم أيُّها الأشاعرة في بقية الصفات نفس المسلك في إثبات السبع الصفات على وجهٍ لا يماثل صفات المخلوق.

ففكروا وقدَّروا ، وحاصوا يمنة ويسرة، فنظروا، فجاؤوا بشبهة أخرى؛ أخطر من سابقتها، فقالوا:

إنَّ هناك فرقاً بين هذه الصفات السبع وبين بقية الصفات. وهذا الفرق هو ما حملنا على هذا التفريق بينها إثباتاً ونفياً.

قلنا لهم: ما هو هذا الفرق وما حملكم عليه؟!.

قالوا: أنَّ هذه الصفات السبع دلَّ عليها العقل مع الشرع فأثبتناها، وأمَّا بقية الصفات فدلَّ عليها الشرع دون دلالة العقل، ودلالة الشرع عندنا ظنية محتملة ليست صريحة، ودلالة العقل عندنا قطعية.

وهذه الشبهة وهذا الاستدلال بنوه على قاعدة فاسدة مبتدعة، لدى جميع أهل البدع في الأسماء والصفات، وهي أنَّ الدلالة اللفظية لا تفيد اليقين، وأدلة القرآن والسنة دلالتها لفظية لا تفيد اليقين، والذي يفيد اليقين هو دليل العقل.

فسموا الأدلة العقلية قواطع عقلية، وبراهين يقينية. وأمَّا نصوص القرآن والسنَّة فدلالاتها عندهم لفظية محتملة، لا تفيد اليقين ولا تفيد القطع.

وهذا والله من المصائب والابتلاء الذي ورد على المسلمين من المنطق المحوق ومن علم الكلام البائس، وعلم الفلسفة، ومن كتب الهند واليونان، وكتب أفلاطون وأرسطو، التي تسببت في انتكاس فطر المسلمين وانتكاس عقائدهم.

وقد سماه ابن القيم رحمه الله طاغوتاً ؛ وحكم عليه بأنَّه كفر، أعني علم المنطق والكلام والفلسفة، لأنَّه حمل كثيراً من المسلمين على عدم العمل بنصوص الوحيين، وعلى عدم الأخذ بنصوص الوحيين، واعتقاد أنَّها لا تفيد اليقين، وهذا باطل صريح.

لأنَّه يلزم من هذا الاعتقاد الخرب، وهذا الكلام الباطل والسخيف أمور فاسدة. منها تعطيل أحكامٍ كثيرةٍ جاءت بها نصوص الوحيين؛ وخاصة في المعاملات. كالبيع والنكاح والطلاق. ويلزم منه أنَّ كلام الله ورسوله ﷺ لا يوثق بها ولا يُعمَلُ بها. إلى غير ذلك من لوازم قاعدتهم المبتدعة هذه.

وهذا الكلام لا نستطرد فيه، لضيق الوقت، ولكونه يحتاج تفصيلا ليس هذا أوانه.

فظهر لنا من خلال هذا، أنَّ أكثر فرق أهل البدع؛ قد زَلَّت في باب الأسماء والصفات من مزلقين خطيرين؛ وهما التشبيه، والثاني تقديمهم للدليل العقلي على الدليل اللفظي.

ثمَّ ما كان من أمر أبي الحسن الأشعري رحمه الله في آخر أمره من براءته، من هذا المعتقد الفاسد ورجوعه إلى عقيدة أهل السنَّة والجماعة، وتأليفه في هذا الخصوص كتاب (الإبانة عن أصول الديانة).

وبَقِيَ هذا المعتقد الفاسد متوارثاً بين النَّاس وبسبب هذا ظل خلقٌ كثيرٌ من أهل العلم والفضل؛ إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله، ومنهم من بان له الحق فرجع عنه، وعلى سبيل المثال أبو الحسن الأشعري نفسه، وعلى ذلك فإنَّ الأشاعرة ينكرون رجوعه عن هذا المعتقد الباطل. وكذلك الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله، واقرأ شرحه للعقيدة الواسطية. وغيره كثير.

وربَّما أنَّ بعض صغار طلاب العلم قد يقع بين يديه كتاب لأحد من ابتلي بهذا المعتقد الخرب؛ فيجده يقول وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، أو يقول: وهذا عقيدة أهل السنة والجماعة مع كونه ينفي الصفات ويحرفها، وهذا قد يوقع عنده نوعاً من الإرباك. فتفسير ذلك أنَّ هذا الكاتب عاش في زمنٍ كان فيه الأشاعرة هم السواد الأكثر من الأمة، وتأثر بعقيدتهم في نفي الصفات. في حين أنَّه من أهل الفضل علماً وفقهاً.

وهذا لا يعني بالضرورة أن يكونوا على الحق، كما بينا فيما سبق من فساد معتقدهم.

ولأنَّ ظهور طائفة في زمنٍ من الأزمنة لا يعني صلاح معتقدهم. فقد ظهر المعتزلة في زمن المأمون إلى زمن المتوكل وهم أهل كفرٍ صريح.

ولأنَّ الكثرة ليست معياراً لصحة المعتقد أبداً، فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦﴾[1].

وقد اختصرت الكلام على الأربع الفرق الآنفة الذكر؛ لكون عقائدها شبه ميتة، ولا يوجد لهم وارثون إلَّا شذاذ لا يذكرون. وأسهبت في الكلام على عقيدة الأشاعرة؛ لأنَّها تكاد تكون الفرقة الوحيدة من فرق الضلال التي لا يزال معتقدها متوارثاً إلى اليوم. وأمَّا الماتريدية فهم ينتسبون إلى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، وهؤلاء على نفس مسلك الأشاعرة، ولا يختلفون معهم إلَّا في بعض مسائل لا تكاد تُذكر. ولعلنا نفرد عنهم الحديث في مجلس آخر إن شاء الله.

فأنصح نفسي وإخواني طلاب العلم؛ أن يأخذوا دينهم وعلمهم عن العلماء الأكابر من أهل السنة والجماعة، فإنَّ هذا العلم دين، فانظروا عمَّن تأخذون دينكم. وأن يهتموا بباب الأسماء والصفات، فإنَّه مهم جداً لطالب العلم أن يعرف الحق فيه ويتبعه.

فأسأل الله أن يرينا الحقَّ حقًّا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) [الأنعام:١١٦].

يصدر قريباً إن شاء الله

تنبيه المرأة المسلمة

إلى بعض الأمور المهمة

بقلم

أبي حمود هادي مجب

ناشر إلكتروني



مكتبة أبي حمود العلمية

